

لا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير!

المُبَكِّيَاتِ! فَرُحَمَاكَ رُحَمَاكَ يَا رَبَّ الْكَائِنَاتِ بِالْغَافِلِينَ
وَالْغَافِلَاتِ!. فهنيئاً لهم دُمُوعُ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ
لَا تَنْفَعُ الْحَسْرَةُ وَالسَّمَامَةُ.. وهنيئاً لهم السَّيْرُ فِي مُقَدِّمَةِ
رُكْبِ الْخَاسِرِينَ، وَالسَّبْقُ إِلَى مَوَارِدِ الْمَحْرُومِينَ. هنيئاً
لهم المُمُوتَةُ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْآخِرَةِ، وهنيئاً لهم التَّخَلُّفُ
عَنْ لُقْيَا الْأَنْبِيَاءِ بِمَا كَانُوا يَخَالِفُونَ الْأَتْقِيَاءَ، فهنيئاً لكم يا
معشر الأشقياء!.

فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ فَرَحًا بِالْعِيدِ بَعْدَ أَيَّامِ الصِّيَامِ الْمَعْدُودَاتِ،
التي فيها الجنةُ زِينَتْ فَشَرِعَتْ، والجحيمُ فيها غُلُقَتْ
فَأَحْمَدَتْ، والشَّيَاطِينُ فيها صُفِّدَتْ فَرُجِحَتْ، والنَّفُوسُ

من انشغل قلبه بغير الله وكانت نفسه مُوَعَلَةً
في حُبِّ الْعَاجِلَةِ وَأَدْرَانِهَا أَنَّى لَهُ أَنْ يُعْظَمَ
شعائر الله ويتهياً لاستقبالها أو يُقَدَّرَها حَقَّ
قَدْرِهَا!.. ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى
الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢). فهنيئاً للمؤمنين الصادقين شهر
الصيام، العاكفين في الصَّوَامِعِ وَالْحُجَرَاتِ، السَّاجِدِينَ
وَالْقَائِمِينَ بِمَنَاجَاةِ الرَّحْمَنِ، اللَّاهِجَةَ شِفَاهُهُمْ آتَاءَ اللَّيْلِ
وَأَطْرَافِ النَّهَارِ بِتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ. وَتَعَسًّا لِقَوْمٍ نَافَقُوا فِيهِ
فَامْتَطَّتْ نَفُوسُهُمْ فِيهِ صَهْوَةَ الشَّيْطَانِ بِالْمَلَاهِيِ وَالْمَقَاهِيِ
وَصُنُوفِ الدَّوَاهِيِ، وَشَنَّفُوا آذَانَهُمْ بِسَمَاعِ عَذْبِ الْأَلْحَانِ،
مُمَسِّكِينَ عَنِ الْفُرْقَانِ..! فنشكوا إلى الله ربِّ الْعَالَمِينَ مَنْ
ظَلَمُوا شَهْرَ رَمَضَانَ بِمَسَلِّكَ التَّبَابِ، وَانصَبُوا بِصِفَاتِ
الْأَنْعَامِ وَالذُّوَابِ، لَا يَتَنَبَّهُونَ فِي أَيَّامِهِ السَّمْعَالِيِ الرَّوْحَانِيَةِ
وَالْمَعَارِفِ الْقُرْآنِيَّةِ، عَلَى الْمَسْلَسَلَاتِ وَالْفَوَازِيرِ سَاهِرِينَ،
وَعَلَى أَسْرَتِهِمْ مُسْتَلْقِينَ نَائِمِينَ، أَلَا بُعْدًا لِقَوْمٍ غَافِلِينَ!
لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ مِنْ صِيَامِهِمْ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَلَا مِنْ
قِيَامِهِمْ إِلَّا السَّهَرُ وَالتَّعَبُ. فَالصِّيَامُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ
فِيهِ الصَّائِمُ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَالرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَيَذْكُرُ
الموتَ وَالبَلَى، وَيَسْتَعِدُّ لِلْآخِرَةِ لِلِقَاءِ المولى.

سَبَقَ السَّابِقُونَ بِالْفَضْلِ وَالصِّيَامِ وَوَصَلَ الْوَاصِلُونَ
بِوَصَالِ رَبِّ الْأَنَامِ. بَقِيَ الْأَجْرُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَحَانَ قِطَافُ
الثَّمَرِ. أما الغافلون فذهب شهرهم في لَذَّةِ الْمُنْكَرَاتِ،
وَانْقَضَى فِي حَلَقَاتِ الْمَسْلَسَلَاتِ، وَفَرَعَتْ جُعْبَتُهُمْ مِنْ
قَهْقَهَةِ الْفَوَازِيرِ وَالتَّكَاثِ، وَبَقِيَ لَهُمْ فَضَالَةٌ الْإِثْمِ
وَالْوِزْرِ وَأَنْوَاعِ الْخَطِيئَاتِ! وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَمِنْ الْمُحْزِنَاتِ



الرَّبِّ المعبود. وقد بَشَّرَ المصطفى ﷺ أن مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. فَمَا صَامُوا إِيمَانًا وَمَا احْتَسَبُوا إِيقَانًا! بَلْ انْتَقَلَتْ ذُنُوبُهُمْ إِلَى عَادَاتٍ مُهْلِكَاتٍ وَلَحِقُوا بِالْهَالِكِينَ. مَا اخْتَارُوا طَرِيقَ الْأَبْرَارِ، وَمَا انْتَهَجُوا سَبِيلَ الْأَخْيَارِ، وَمَا سَعَوْا إِلَى الْحَقِّ نَادِمِينَ.. فَارَقُوا مَوَاسِمَ الْخَيْرِ، وَهَذِهِ الْأَيَّامَ الْعُرَى، وَاللَّيَالِيَ الرَّهْرِ، الَّتِي بَشَّرَ اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ بِالْخَيْرَاتِ وَالْمَسْرَاتِ، وَمَا عَلِمَ هَؤُلَاءِ الْفَارِغُونَ اللَّاهُونَ أَنَّهُمْ يَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ. فعلى الصائمين المسترشدين أن يَعْلَمُوا أَنَّ رَمَضَانَ يَدْعُونَا إِلَى بَدْءِ رِحْلَةِ التَّغْيِيرِ عَلَى مَدَى الْعُمْرِ.. رِحْلَةِ الْإِقْلَاعِ عَنْ عَوَائِدِ تَعَوَّدْنَاهَا... وَعَوَائِقِ قَدْ تَفَنَّنَتْ فِي صَدْنَا عَنِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ، وَإِثَارِ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.. وَعَلَائِقِ قَدْ قَطَعَتْ عَلَيْنَا طَرِيقَ الْوَصْلِ.. فَالْتَفَتْنَا وَانْشَغَلْنَا بِغَيْرِ اللَّهِ، فَاتَّرَتْ الْعَاجِلَ عَلَى الْآجِلِ..!!

فِيَا غُرَّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ، اجْعَلْ أَسْمَاءَنَا فِي طَيِّ صَفْحَاتِ سِجْلِكَ مَعَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، الْمُسْتَحْقِينَ اسْتِحْقَاقَ وَعْدِ الرَّحْمَنِ، رَحْمَةً فِي أَوَّلِهِ وَمَغْفِرَةً فِي وَسْطِهِ وَعِتْقًا مِنَ النَّارِ فِي آخِرِهِ. رَبَّنَا وَنَجِّنَا مِنْ أَوْلِيكَ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ بَرَكَاتِكَ وَنِعْمَاتِكَ، فَاسْوَدَّتْ قُلُوبَهُمْ بِمُعَادَاةِ الْقُرْآنِ وَظُهُورِ أَيَّامِ الْحَقِّ وَالْفِرْقَانِ.. رَبَّنَا وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ عِبَادُكَ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ. رَبَّنَا وَحَقِّقْ أَمَانِينَا الْمُؤْمِنَةَ وَتَقَبَّلْ دَعَوَاتِنَا وَوَادِعْ نُفُوسَنَا الْآمِنَةَ الْمُطْمَئِنَّةَ..

اللَّهُمَّ آمِينَ وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

فعلى الصائمين المسترشدين أن يَعْلَمُوا أَنَّ رَمَضَانَ يَدْعُونَا إِلَى بَدْءِ رِحْلَةِ التَّغْيِيرِ عَلَى مَدَى الْعُمْرِ.. رِحْلَةِ الْإِقْلَاعِ عَنْ عَوَائِدِ تَعَوَّدْنَاهَا... وَعَوَائِقِ قَدْ تَفَنَّنَتْ فِي صَدْنَا عَنِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ..

فِيهَا خَشِيعَتْ فَسَكَنْتَ، وَالْأَعْيُنَ فِيهَا دَمَعَتْ فَبَكَتْ، وَالْهَمَمَ فِيهَا سَحَدَتْ فَاقْتَرَبَتْ، وَالْأَكْفَ فِيهَا رُفِعَتْ فَتَضَرَّعَتْ، وَالْأَلْسُنَ فِيهَا لَهَجَتْ فَذَكَرَتْ، وَالْبَطُونَ فِيهَا جَاعَتْ فَصَبَّرَتْ، وَالصَّدَقَاتِ فِيهَا أَطْعَمَتْ وَكَسَتْ، وَالذُّنُوبَ فِيهَا كُفِّرَتْ فَمُحِيَتْ.. فَسَبِحَانَ مِنْ جَعَلَهَا فِيهَا كُلَّ عُسْرٍ يُسْرًا وَمَعَ كُلِّ ظَلَامٍ نُورًا، فَفَكَّرُوا فِي مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِزُورِ هَذِهِ الْمَائِدَةِ فِي يَوْمِ الْجَائِزَةِ! لَتَظْهَرَ عَلَيْكُمْ حَقِيقَةُ الزَّمْرِ الْفَائِزَةِ!. فَتَفَكَّرْ يَا مَنْ تَحَلَّى بِفَهْمٍ وَلَا تَرَكَنْ مِنْ يَقِينٍ إِلَى وَهْمٍ، وَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ عَثْرَاتِ قَوْمٍ مَا اغْتَنَمُوا شَهْرَ اللَّهِ، فَتَمَائَلُوا عَلَى الذُّنُوبِ وَنَسُوا فِيهِ